الرسالةُ الحاديةَ عَشْرةَ

حكمُ زيارةِ آثارِ الصالِحِين(١)

(١) أصلُها: مقدِّمةُ كتاب: «وقَفاتٌ مع زيارةِ آثارِ الصالِحِين».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بعدَه، وعلى آلِهِ وصحبِهِ والتابِعِين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ الشارعَ الحكيمَ سَدَّ جميعَ طُرُقِ الشركِ، وحرَّم وسائلَه، وأغلَقَ أبوابَه؛ تحقيقًا للتوحيدِ، وحمايةً لجَنابِه؛ قال اللهُ تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أبي بكرٍ الزُّرَعِيُّ ـ تعليقًا على هذه الآيةِ ـ: «وقد قطَعَ اللهُ الأسبابَ التي يَتعلَّقُ بها المشرِكون جميعًا قطعًا يَعلَمُ مَن تأمَّله وعرَفَهُ أنَّ مَن اتَّخَذَ مِن دونِ اللهِ وليًّا، فمثَلُهُ كمثَلِ العنكبوتِ اتَّخَذَتْ بيتًا، وإنَّ أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ؛ فالمُشرِكُ إنَّما يَتَّخِذُ معبودَهُ لِمَا يحصُلُ له به مِن النفعِ، والنفعُ لا يكونُ إلا ممَّن تكونُ فيه **خَصْلةٌ مِن هذه الأربعِ:**

- إمَّا مالكٌ لِمَا يريدُ عابدُهُ منه.
- فإنْ لم يكُنْ مالكًا، كان شريكًا للمالك.
- فإنْ لم يكُنْ شريكًا له، كان مُعِينًا له وظهيرًا.
- فإن لم يكُنْ معينًا ولا ظهيرًا، كان شفيعًا عندَه.

فنفى سبحانه المراتبَ الأربعَ نفيًا مرتَّبًا، منتقِلًا مِن الأعلى إلى ما دونَه؛ فنفى المِلْكَ، والشَّرِكَةَ، والمظاهَرةَ، والشفاعةَ التي يطلُبُها المشرِكُ، وأثبَتَ

شفاعةً لا نصيبَ فيها لمشركٍ؛ وهي الشفاعةُ بإذنِه...»[(١)].

كما بيَّن ربُّنا عَجَّلَ في هذه الآيةِ الكريمةِ: أنَّه لا يُدعَى إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كشفِ الكُرُباتْ، وإغاثةِ اللَّهفاتْ، وإزالةِ المُلِمَّاتْ، وإجابةِ الحاجاتْ، مِن دخولِ الجنَّاتْ، والإعاذةِ مِن النارِ، وشفاءِ الأمراضِ، ورزقِ الأولادِ:

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٥، ٦٦].

وقال علَّامةُ العراقِ عليٌّ السُّوَيْديُّ الهاشِميُّ البغداديُّ رحمه الله تعالى، في كتابِهِ «العِقْدِ الثمينِ»: «ومَن تأمَّل بعينِ الاستبصارِ، عَلِمَ أنَّ المقصودَ بنفي الشفاعةِ: نفيُ الشركِ؛ وهو ألَّا يُعبدَ إلا اللهُ؛ كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ولا يُدعَى غيرُ الله؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، ولا يُسألَ غيرُهُ، ولا يُتوكَّلَ على غيرِهِ؛ لا في شفاعةٍ، ولا في غيرِها.

فكما أنَّه ليس للمؤمنِ أن يتوكَّلَ على أحدٍ في أن يرزُقَهُ ـ وإن كان اللهُ تعالى يأتيه برزقِهِ بأسبابٍ ـ كذلك ليس له أن يتوكَّلَ على غيرِ اللهِ في أن يَغفِرَ له ويَرحَمَهُ في الآخرةِ؛ بشفاعةٍ وغيرِها ممَّا لم يأذَنِ اللهُ به؛ فالشفاعةُ التي نفاها القرآنُ مطلَقًا: ما كان فيها شركٌ، وتلك منفيَّةٌ مطلقًا، والشفاعةُ المثبَتةُ:

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٢١ ـ ٩٢٢ ط. دار الصميعي).

ما تكونُ بعد الإذنِ يومَ القيامة، ولا تكونُ إلا لمَن ارتضى مِن أهلِ التوحيدِ والإخلاص؛ فهذه الشفاعةُ مِن التوحيدِ، ومستحِقُّها أهلُ التوحيدِ؛ فمَن كان موحِّدًا مخلِصًا، قطَعَ رجاءَهُ عن غيرِ اللهِ تعالى، ولم يَجعَلْ له وليًّا ولا شفيعًا مِن دونِ الله.

إذا تبيَّن هذا: فالمشرِكونَ قد كانت عبادتُهم لآلهتِهم ـ هذا الالتجاءُ والرجاءُ والدعاءُ ـ لأجلِ الشفاعةِ، معتقِدِينَ أنَّها المقرِّبةُ لهم؛ فبسببِ هذا الالتجاءِ والاعتقادِ أُريقَتْ دماؤُهم، واستُبيحَتْ أموالُهم، وسُبِيَتْ نساؤُهم وأولادُهم، وقد أُرسِلَ ﷺ ـ بل جميعُ الرسلِ ـ بكلمةِ التوحيدِ؛ شهادةِ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ؛ لِيَعدِلَهم عمَّا هم عليه مِن الضلالاتِ والجهالات، وأوجَبَ عليهم إفرادَ الحقِّ سبحانه بالألوهيَّةِ التي مِن أعظم خواصِّها هذا الالتجاءُ والرجاءُ، وألَّا يَجعَلوها لغيرِه؛ مِن نبيٍّ مرسَلٍ، أو ملَكٍ مقرَّب، وقد تعبَّدهم اللهُ تعالى باعتقادِ هذا التوحيدْ، والعملِ بمقتضى هذه الكلمةِ المشتمِلةِ على التجريدِ والتفريدْ، اللذَيْنِ هما حقيقةُ التوحيدْ؛ فهذا الالتجاءُ بطلبِ الشفاعةِ ورجائِها عبادةٌ لا تصلُحُ إلا لله، ومِن صِرْفِ حقِّ الله، وأنَّها شركٌ كشركِ الأوَّلين»[1]. اهـ.

وقال ابنُهُ الشيخُ محمَّدٌ الأمينُ السُّوَيْديُّ رحمه الله تعالى: «ولا يجوزُ ذلك إلا مِن جهلِ آثارِ الرسالةِ؛ ولهذا عمَّت الاستغاثةُ بالأمواتِ عند نزولِ الكُرُباتْ، يسألونهم، ويتضرَّعون إليهم؛ فكان ما يَفعَلونَهُ معهم أعظَمَ مِن عبادتِهم واعتقادِهم في ربِّ السمٰواتْ»[2].

وقال العلَّامةُ محمودٌ أفندي الألوسيُّ صاحبُ «رُوح المعاني» في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥]: «وقد رأينا كثيرًا مِن

(١) منقول من مخطوطة الكتاب، وخطُّها في غايةِ الوضوحِ والحُسْن؛ وهو في المطبوع (ص١٠٧ ـ ١٠٨).

(٢) «جلاء العينَيْن» (ص٥١٢ ط. المدني).

الناسِ على نحوِ هذه الصفةِ التي وصَفَ اللهُ تعالى بها المشرِكِينَ يَهَشُّونَ لذكرِ أمواتٍ يستغيثون بهم، ويطلُبُونَ منهم، ويَطرَبُونَ مِن سماعِ حكاياتٍ كاذبةٍ عنهم توافِقُ هواهم واعتقادَهم فيهم، ويعظِّمون مَن يحكي لهم ذلك، ويَنقبِضونَ مِن ذكرِ اللهِ تعالى وحدَهُ، ونسبةِ الاستقلالِ بالتصرُّفِ إليه ﷻ، وسَرْدِ ما يدُلُّ على مزيدِ عظمتِهِ وجلالِه، ويَنفِرون ممَّن يَفعَلُ ذلك كلَّ النُّفْرةِ، ويَنسُبونَهُ إلى ما يَكرَهُهُ، وقد قلتُ يومًا لرجلٍ يستغيثُ في شِدَّةٍ ببعضِ الأمواتِ وينادي: «يا فلانُ، أَغِثْنِي!»، فقلتُ له: «قُلْ: يا أللهُ»؛ فقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فغَضِبَ، وبلَغَني أنَّه قال: «فلانٌ مُنكِرٌ على الأولياء».

وسَمِعتُ عن بعضِهم أنَّه قال: «الوليُّ أسرعُ إجابةً مِن اللهِ ﷻ»؛ وهذا مِن الكفرِ بمكانٍ؛ نسألُ اللهَ تعالى أن يَعصِمَنا مِن الزيغِ والضلالِ»(١).

وقال ابنُهُ العلَّامةُ نُعْمانُ بنُ محمودٍ الألوسيُّ رحمه الله تعالى: «وقال المانِعونَ(٢): وهل سَمِعتُم أنَّ أحدًا في زمانِهِ ﷺ، أو ممَّن بعدَهُ في القرونِ الثلاثةِ المشهودِ لأهلِها بالنجاةِ والصدقِ ـ وهم أعلَمُ منَّا بهذه المطالِبْ، وأحرَصُ على نيلِ مثلِ تِيكَ الرغائبْ ـ: استغاثَ بمَن يُزِيلُ كُرْبَتَهُ التي لا يَقدِرُ على إزالتِها إلا اللهُ سبحانه؟! أم كانوا يقصُرونَ الاستغاثةَ على مالكِ الأمورِ، ولم يَعبُدوا إلا إيَّاه؟! لقد جرَتْ عليهم أمورٌ مُهِمَّهْ، وشدائدُ مدلَهِمَّهْ، في حياتِهِ ﷺ، وبعدَ وفاتِه؛ فهل سَمِعتَ عن أحدٍ منهم: أنَّه استغاثَ بسيِّدِ المرسَلين ﷺ؟! أو قالوا: «إنَّا مستغيثونَ بك يا رسولَ اللهِ!»، أم بلَغَكَ أنَّهم لاذوا بقبرِهِ الشريفِ، وهو سيِّدُ القبورْ، حين ضاقت منهم الصدورْ؟! كلَّا؛ لا يُمكِنُ لهم ذلكْ، وإنَّ الذي كان بعكسِ ما هنالكْ؛ فلقد أثنى اللهُ تعالى عليه، ورَضِيَ عليهم، ورَضِيَ عنهم؛ فقال ﷻ مِن قائلٍ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، مبيِّنًا لنا سبحانه: أنَّ هذه الاستغاثةَ هي أخصُّ

(١) «روح المعاني» (١٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ط. دار الكتب العلمية).

(٢) أي: مَن يَمنَعُ مِن الاستغاثةِ بغيرِ الله تعالى فيما لا يَقدِرُ عليه إلا اللهُ.

الدعاءْ، وأجلى أحوالِ الالتجاءْ؛ ففي استغاثةِ المضطرِّ بغيرِهِ تعالى عند كُرْبتِهِ تعطيلٌ لتوحيدِ معاملتِهِ الخاصَّةِ به»[١].

وقال العالِمُ الجليلُ محمود شكري رحمه الله تعالى، حفيدُ صاحبِ «رُوح المعاني»: «فتبيَّن ممَّا نقَلْناهُ: أنَّ الاستغاثةَ بمخلوقٍ بما لا يَقدِرُ عليه إلا اللهُ تعالى، ممَّا لا يجوزُ؛ فإنَّ الاستغاثةَ دعاءٌ، والدعاءُ عبادةٌ، بل مُخُّ العبادةِ، وغيرُ اللهِ تعالى لا يُعبَدُ، بل هو المخصوصُ بالعبادة.

فإذا أصاب الناسَ جَدْبٌ وقَحْطٌ، فلا يقالُ: «يا رسولَ اللهِ، ارفَعْ عنا القَحْطَ والجَدْبَ!».

وإذا نزَل بالناسِ بلاءٌ أو وَبَاءٌ، فلا يُقالُ: «يا رسولَ الله ـ أو: يا جبريلُ، أو: يا ميكائيلُ ـ ارفَعْ عنَّا البلاءَ والوباءَ!».

وإذا مَرِضَ أحدٌ، فلا يقولُ: «يا رسولَ اللهِ شافِني وعافِني!»، ولا غيرَه.

وإذا احتاج أحدٌ إلى رزقٍ، فلا يقولُ: «يا رسولَ اللهِ، ارزُقْني!»، ولا غيرَه.

وإذا لم يكُنْ لأحدٍ ولدٌ، فلا يجوزُ له أن يقولَ: «يا رسولَ اللهِ، أعطِني ولدًا!».

وإذا كان في شِدَّةٍ في برٍّ أو بحرٍ، فلا يجوزُ أن يقولَ: «يا رسولَ اللهِ، أَدرِكْني!»، أو «أَلتجِئُ إليك!»، أو «أستغيثُ بك!»، أو نحوَ ذلك.

بل كلُّ ذلك شِركٌ مُخرِجٌ عن الدِّينِ؛ لأنَّه عبادةٌ لغيرِ اللهِ، ونحن نوضِّحُ المسألةَ؛ فقد زلَّت فيها أقدامٌ، فنبيِّنُ أوَّلًا معنى العبادةِ، ثم نذكُرُ ما هو مِن خصائصِ الألوهيَّةِ، ومِن اللهِ نستمِدُّ التوفيق»[٢].

قال محمَّدُ بنُ سلطانٍ المعصوميُّ رحمه الله تعالى: «يا أيُّها المسلِمُ العاقلُ، الصحيحُ الإسلامِ، تدبَّرْ وتفكَّرْ، هل ثبَتَ أنَّ أحدًا مِن الصحابةِ ﵃ نادى النبيَّ ﷺ في حياتِهِ أو بعد مماتِهِ، مِن بعيدٍ واستغاث به؟! ولم يثبُتْ عن

(١) «جلاء العينَيْن» (ص٥١٢ ـ ٥١٣).
(٢) «غاية الأماني» (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ط. الرشد).

أحدٍ منهم: أنَّه فعَلَ مثلَ ذلك! بل قد ورَدَ المنعُ مِن ذلك، كما سأذكُرُهُ إن شاءَ اللهُ تعالى»، إلى أن قال: «وها أنا أذكُرُ مِن نصوصِ المذهبِ الحنَفيِّ مِن الكتبِ المعتبَرةِ والفتاوى المشهورةِ؛ ففي «شرحِ القُدُوريِّ»: «إنَّ مَن يدعو غائبًا أو ميِّتًا عند غيرِ القبورِ، وقال: «يا سيِّدي فلانُ، ادعُ اللهَ تعالى في حاجةِ فلانةَ!»، زاعمًا أنَّه يَعلَمُ الغيبَ، ويَسمَعُ كلامَهُ في كلِّ زمانٍ ومكانْ، ويَشفَعُ له في كلِّ حينٍ وأوانْ، فهذا شركٌ صريحٌ؛ فإنَّ علمَ الغيبِ مِن الصفاتِ المختصَّةِ باللهِ تعالى.

وكذا إن قال عند قبرِ نبيٍّ أو صالحٍ: «يا سيِّدي فلانُ، اشفِ مرَضي، واكشِفْ عنِّي كُرْبتي»، وغيرَ ذلك، فهو شركٌ جليٌّ؛ إذْ نداءُ غيرِ اللهِ طالبًا بذلك دفعَ شرٍّ أو جلبَ نفعٍ فيما لا يَقدِرُ عليه الغيرُ دعاءٌ، والدعاءُ عبادةٌ، وعبادةُ غيرِ اللهِ شركٌ»[(١)].

وقال العلَّامةُ عليٌّ السُّوَيْديُّ:

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا خُلِقْتَ سَبَهْلَلًا ... فَاعْبُدْ إِلَهَ الْعَرْشِ بِالْإِقْبَالِ
وَاجْعَلْ سِلَاحَكَ دَعْوَةً بِإِنَابَةٍ ... وَالْجَأْ إِلَى مَوْلَاكَ غَيْرَ مُبَالِي
وَاسْأَلْهُ لَا تَسْأَمْ فَإِنَّكَ عَبْدُهُ ... فَهُوَ الْكَرِيمُ وَرَبُّ كُلِّ نَوَالِ
يَا رَبِّ فَاقْطَعْ عَنْ فُؤَادِيَ كُلَّ مَا ... أَرْجُوهُ إِلَّا مِنْكَ مِنْ آمَالِ
وَاغْسِلْهُ مِنْ دَرَنِ الظُّنُونِ فَإِنَّهُ ... مَرَضُ الْقُلُوبِ وَمُوجِبُ الْإِعْلَالِ
وَأَرِحْهُ مِنْ نَظَرِ الْعِبَادِ فَإِنَّهُ ... أَصْلُ الْفَسَادِ وَأَفْسَدُ الْأَشْغَالِ
وَارْزُقْهُ خَشْيَتَكَ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الْـ ... ـحُسْنَى لَدَى الْمَقْبُولِ مِنْ أَعْمَالِ
يَا رَبِّ وَفِّقْنِي لَمَا فِيهِ الرِّضَا ... فَلَقَدْ وَعدتَّ إِجَابَةَ التَّسْآلِ
وَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ عَاجِلِهِ الَّذِي ... تَبْدُو حَلَاوَةُ ذَوْقِهِ بِمَآلِ[(٢)]

---

(١) «حُكْمُ اللهِ الواحدِ الصمَدْ، في حكمِ الطالبِ مِن الميِّتِ المَدَدْ» (١٧ ـ ١٩)، ثم نقَلَ نقولًا متكاثِرة.

(٢) «غاية الأماني» (٢/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ط. الرشد).

قال المفتي محمَّد فيضي الزَّهَاويُّ البغداديُّ رحمه الله تعالى[١]:

لَا تَدْعُ فِي حَاجَةٍ بَازًا وَلَا أَسَدَا[٢] أَللَّـهُ رَبُّـكَ لَا تُـشْـرِكْ بِـهِ أَحَـدَا[٣]

❁ ❁ ❁

(١) «المِسْك الأَذْفَر» (ص٢٤٩).

(٢) يعني بالباز: الشيخُ عبد القادر الجِيلاني رحمه الله تعالى، وبالأسَدِ: أميرَ المؤمنينَ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) «غاية الأماني» (٢/٣١٨).

فصلٌ

في أمرِ اللهِ تعالى لخَلْقِهِ بدعائِه

ومِن الأدلَّةِ التي تدُلُّ على ما قاله هؤلاءِ العلماءُ غيرَ ما تقدَّم ما يلي:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤].

ووعَدَ اللهُ تعالى ـ ووعدُهُ الحقُّ ـ مَن دعاه بأنَّه يستجيبُ له، وأخبرَ سبحانه أنَّه قريبٌ مِن عبادِهِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

❁ ❁ ❁

فصلٌ

في دعاءِ الأنبياءِ والرُّسُلِ لربِّهم دُونَ ما سواه

وقد أخبرَ اللهُ تعالى عن الأنبياءِ والرُّسُلِ الكرامْ، عليهم الصلاة والسلامْ: أنَّهم يدعُونَ اللهَ تعالى، ويَلجَؤُونَ إليه في جميعِ أمورِهم، ومختلِفِ حاجاتِهم، والواجبُ علينا التأسِّي بهم:

١ ـ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى عن آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجِهِ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقد استجاب اللهُ تعالى لهما؛ فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

وقال أيضًا: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

٢ ـ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وأخبرَ سبحانه عن نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه دعاه؛ فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

٣ ـ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وقال تعالى عن إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

وقال أيضًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٣ ـ ٨٧].

٤ ـ موسى عليه السلام:

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

وقال أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٦].

وقال أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

٥ ـ أيُّوب عليه السلام:

وقال عن عبدِهِ ونبيِّهِ أيُّوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٦ ـ ذو النُّونِ عليه السلام:

وقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٧ ـ زكريَّا عليه السلام:

وقال عن زكريَّا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩].

٨ ـ داودُ عليه السلام:

وقال عن داودَ عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢٤، ٢٥].

٩ ـ سليمانُ عليه السلام:

وقال عز وجل حاكيًا عن سليمان عليه السلام: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

١٠ ـ يعقوبُ عليه السلام:

وقال تعالى عن يعقوبَ عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

وأخبرَ اللهُ عز وجل عنه بأنَّه استعان بربِّهِ عز وجل، ولجأ إليه عليه السلام؛ كما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

وقد قال اللهُ تعالى قبل ذلك عنه عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣].

١١ ـ يُوسُفُ عليه السلام:

وقال عز وجل عن يُوسُفَ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

وقال أيضًا: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

فصلٌ

في ذكرِ دعاءِ الملائكةِ وأهلِ الإيمانِ والصلاحِ لله ﷻ دُونَ ما سواه

الملائكةُ عليهم السلام:

قال ﷻ مخبرًا عن الملائكةِ في دعائِهم لربِّهم تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾ [غافر: ٧، ٨].

أهلُ الإيمانِ والصلاح:

وكذلك أهلُ الإيمانِ والصلاحِ: يَلجَؤُون إلى اللهِ، ويدعُونَهُ في غُفْرانِ ذنوبِهم، وتفريجِ كُرُوبِهم، وقضاءِ حاجاتِهم:

١ ـ كما قال اللهُ تعالى عنهم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران: ٨، ٩].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩٥].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف: ١٠].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

٨ ـ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

٩ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

١١ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ

أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحريم: ٨].

١٢ ـ بل هذا ما عَلَّمنا إيَّاه ربُّنا ﷻ أن ندعُوهُ وحده لا شريكَ له، وبيَّن لنا ذلك في كتابِهِ؛ فقال في أعظم سورةٍ في القرآنِ الكريم، وهي سورةُ الفاتحةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٥ ـ ٧].

١٣ ـ وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

١٤ ـ وقال أيضًا: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

١٥ ـ وقال له أيضًا: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧].

١٦ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١ ـ ٥].

١٧ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١ ـ ٦].

١٨ ـ وقد أمرَنا اللهُ ﷻ: بالدعاءِ للوالدَيْن، وبيَّن أنَّ هذا مِن البرِّ بهما، والإحسانِ إليهما؛ فقال: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤].

فصلٌ

في عدَمِ سماعِ الأمواتِ والغائِبِينَ لدعاءِ مَن يدعوهم

ثم يقالُ لهؤلاءِ الذين يدعُونَ المخلوقِينَ مِن دونِ اللهِ تعالى: «إنَّ الذين تدعُونَهُمْ لا يَسمَعونَ دعاءَكم، ولو سَمِعوا ما استجابوا لكم»:

قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٨].

قال العلَّامةُ نُعمانُ الألوسيُّ(١): «الحمدُ للهِ مُحيِي الأمواتْ، ومُعيدِ الرُّفَاتْ، ومُجازِيهم على المعاصي ومُثيبِهم على الطاعاتْ، والسامِعِ مِن الداعِينَ خفيَّ الأصواتْ، ألَّذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأَرَضِين والسمٰواتْ، والصلاةُ والسلامُ على مَن كان تكليمُ الجمادِ له إحدى المُعجِزاتْ، وعلى آله وصحبِهِ أصحابِ الكَرَاماتِ الباهراتْ.

أمَّا بعدُ:

فإنِّي في شهرِ رمضانَ عامَ خمسٍ وثلاثِ مائةٍ وألفٍ، مِن هجرةِ مَن أُنزلَ عليه القرآنُ تفصيلًا لكلِّ شيءٍ وتِبْيانًا، ذكَرْتُ في مجلسِ درسي العامِّ ما قالَتْهُ

(١) في كتابِهِ: «الآياتِ البيِّناتْ، في عدَمِ سماعِ الأمواتْ» (ص٤٩ ـ ٥٠).

الأئمَّةُ الأحنافُ الأعلامُ في كُتُبِهم الفقهيَّهْ، وأحكامِهم الشرعيَّهْ، مِن عدَمِ سماعِ الموتى كلامَ الأحياءْ، وأنَّ مَن حلَفَ لا يكلِّمُ زيدًا فكلَّمه وهو ميِّتٌ لا يَحنَثُ وعليه فتوى العلماءْ.

فأشاع بعضُ مَن انتسَبَ إلى العِلْمْ، مِن غيرِ إدراكٍ لِمَا حرَّروه ولا فَهْمْ: أنَّ هذا العزوَ غيرُ صحيحْ، وأنَّه قولٌ منكَرٌ مغايِرٌ للشرعِ الرجيحْ، وأنَّه لم يعتقِدْ ذلك أحَدْ، مِن أصحابِ الإمامِ أبي حنيفةَ ومالكٍ والشافعيِّ وأحمَدْ!

فاتَّبَعَهُ كلُّ ناعقٍ مِن أفرادِ الجَهَلَةِ والعوامّ، والمرجِفونَ في مدينةِ السلامْ، فأحبَبْتُ للنصيحةِ في الدِّينْ، ولتبيانِ ما أتى في الكتابِ المُبينْ، وتعليمِ إخواني المسلِمِينْ: أنْ أجمَعَ في هذه الرسالةِ أقوالَ أصحابِنا الأحنافْ، وما قاله غيرُهم مِن الأئمَّةِ والفقهاءِ الأشرافْ، وأن أحرِّرَ ما قالوهْ، وأنقُلَ مِن كُتُبِهم ما سطَرُوهْ، بعباراتِهم المفصَّلهْ، ونصوصِهم المطوَّلهْ، وأدلَّتِهم المحبَّرهْ، وأجوبتِهم المحرَّرهْ؛ ليتَّضِحَ للعامَّةِ ما جَهِلوهُ، ويَظهَرَ للمعانِدِينَ صوابُ ما أخطؤُوهْ، ورتَّبْتُها على ثلاثةِ فصولٍ وخاتِمَهْ، جامِعَةٍ إنْ شاءَ اللهُ تعالى للمعقولِ والمنقولِ وللنزاعِ حاسِمَهْ، وسمَّيْتُها: «الآياتِ البيِّناتْ، في عدَمِ سماعِ الأمواتْ، عند الحنفيَّةِ الساداتْ»، واللهُ سبحانه المسؤولُ أنْ يوفِّقَنا للصوابْ، ويرزُقَنا استماعَ الحقِّ واتباعَهُ في المبدَأِ والمآبْ؛ آمين». اهـ.

واعلَمْ ـ وُفِّقْتَ للهدى والرشادِ ـ أنَّ المدعوِّينَ مِن دونِ اللهِ تعالى في يوم القيامةِ يتبرَّؤون ممَّن دعاهم؛ قال الشيخُ عبدُ اللطيفِ بنُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ حسَنٍ التميميُّ في كتابِهِ: «تحفةِ الطالبِ»(١): «واعلَمْ: أنَّ دعاءَ الأمواتِ والغائِبِينَ

(١) (ص٤٤ ـ ٤٥). وقد قرَّظ هذا الكتابَ جملةٌ مِن الأفاضلِ الأدباءِ؛ منهم عبد القادر أفندي البغدادي القادريِّ؛ وذلك بقولِه:

عَبْدُ اللَّطِيفِ جَزَاهُ اللَّهُ خَالِقُنَا ... يَوْمَ الجَزَاءِ بِأَجْرٍ غَيْرِ مَمْنُونِ
هُوَ الهُمَامُ الَّذِي شَاعَتْ فَضَائِلُهُ ... فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ نَجْدٍ إِلَى الصِّينِ
بَحْرٌ مِنَ العِلْمِ يُبْدِي مِنْ مَعَارِفِهِ ... بَدِيعَ دُرٍّ عَزِيزِ القَدْرِ مَكْنُونِ
حَمَى طَرِيقَ رَسُولِ اللَّهِ عَنْ شُبَهٍ شبه ... مَنْسُوبَةٍ لِجَهُولٍ غَيْرِ مَأْمُونِ
وَسَاوِسٌ وَأَقَاوِيلٌ مُلَفَّقَةٌ ... كَأَنَّهَا بَعْضُ أَقْوَالِ المَجَانِينِ =

ليس بسببٍ لِمَا يَقصِدُهُ المشرِكُ ويريدُه، بل هو سببٌ لنقيضِ قصدِهِ وحِرْمانِهِ وهلاكِهِ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ۝١٣﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

لأنَّه في الحقيقةِ إنَّما عبَدَ الشيطانَ، ودعاه وأطاعه فيما أمَرَ به؛ ولذلك تتبرَّأُ الملائكةُ والصالِحونَ ممَّن دعاهم وصرَفَ لهم شيئًا مِن العبادةِ، وأيضًا: فليس كلُّ سببٍ يُباحُ، بل مِن الأسبابِ ما هو محرَّمٌ، وما هو كفرٌ؛ كالسِّحْرِ والتكهُّن». اهـ.

۞ ۞ ۞

= وقال علي أفندي المدرِّسُ بمدينةِ البَصْرة:

لَاحَ نُـورُ الـهُـدَى وَزَالَ الـضَّـلَالُ ... وَدَهَـى الـشِّـرْكَ وَالْـعِـنَـادَ زَوَالُ
وَتَـجَـلَّـتْ شَـمْـسُ الْـكَـمَـالِ عِـيَـانًا ... بَـعْـدَمَـا كَـانَ دُونَـهَـا أَظْـلَالُ
وَرِيَـاضُ الـتَّـوْحِـيـدِ جَـادَ رُبَـاهَـا ... مِـنْ سَـمَـا الـحَـقِّ عَـارِضٌ هَـطَّـالُ
وَيَـدُ الْـجِـهْـبِـذِ الْـمُـحَـقِّـقِ لِـلْـحَـقْـ ... ـقِ الْإِمَـامُ الْـمُـهَـذَّبُ الْـمِـفْـضَـالُ
ذَاكَ عَـبْـدُ الـلَّـطِـيـفِ كَـنْـزُ الـمَـعَـالِي ... هُـوَ بَـحْـرٌ لِـلْـعِـلْـمِ بَـحْـرٌ زُلَالُ

وقال مصطفى أفندي مفتي الحنفيَّةِ في مدينةِ الحِلَّةِ، الشهيرُ بـ «واعظ زاده»: «أَدِينُ اللهَ تعالى بجميعِ ما في هذا الكتاب، الحاوي لكلِّ معنًى مُنِيف، وأبرأُ إليه تعالى مِن الاعتقاداتِ الفاسِدَهْ، والأقاويلِ الزائفةِ عن الحَقّ العاريةِ عن كلِّ فائِدَهْ، وأنزِّهُهُ ﷻ عما تقوَّلَهُ أهلُ الأباطيلْ، وعلَّلوهُ بتعليلٍ عليلْ، وأشكُرُ فضلَ مَن أنشأَ هذه الفوائدَ الدينيَّهْ، والقواعدَ الإسلاميَّهْ؛ فجزَى اللهُ العلماءَ العامِلينَ عن الإسلامِ والمسلمينَ خيرًا، ورزَقَهُمُ الأمنَ والأمانَ والبُشْرَى، في الحياةِ الدنيا والآخِرةِ، والحمدُ للهِ أوَّلًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا». اهـ.

فصلٌ

في حكمِ تتبُّعِ آثارِ الصالِحِين

ومِن وسائلِ الشركِ التي سدَّها الشارعُ: تتبُّعُ[١] آثارِ الصالِحِين، وتقديسُها بالصلاةِ فيها، والدعاءِ عندها، والتمسُّحِ بها؛ فقد حذَّر الرسولُ الكريمُ ﷺ مِن هذا الفعلِ غايةَ التحذيرِ، وأنكَرَ على مَن فعَلَ هذا أشدَّ الإنكارِ:

فقد أخرَجَ البخاريُّ (٤٢٧)، ومسلمٌ (٥٢٨)؛ كلاهما مِن حديثِ هشام بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ؛ أنَّ أمَّ حَبِيبةَ وأمَّ سَلَمةَ ذكَرَتَا كَنِيسةً رَأَيْنَهَا[٢] بالحَبَشَةِ فيها تصاويرُ، فذكَرَتَا للنبيِّ ﷺ، فقال: «**أُولَئِكِ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ؛ فَأُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

---

(١) وأمَّا الأماكنُ التي قصَدَها ﷺ بالعبادةِ، ودعا أمَّتَهُ إلى قَصْدِها والصلاةِ فيها، فلا شكَّ أنَّ قصدَها بالعبادةِ أمرٌ مطلوب، والإتيانَ إليها أمرٌ مشروع، وهو: إمَّا واجبٌ، أو مستحَبٌّ:
- مع شدِّ الرَّحْلِ؛ كما هو بالنسبةِ إلى المساجدِ الثلاثةِ دُونَ غيرِها، وهي: المَسجِدُ الحرام، ومَسجِدُ الرسولِ ﷺ، ومَسجِدُ بيتِ المَقدِس.
- أو دُونَ شَدِّ رَحْلٍ؛ كالإتيانِ إلى مَسجِدٍ.

فليس حديثي عن هذا، وإنما حديثي عن الإتيانِ إلى الأماكنِ التي لم يَقصِدْها ﷺ، ولم يَدْعُ أمَّتَهُ إلى الذَّهابِ إليها؛ كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - بيانُ ذلك، وبالله تعالى التوفيق.

(٢) كذا الروايةُ في مَصدَرَيِ التخريج؛ ورُوِيَ أيضًا: «رَأَتَاهَا»؛ وهو الجادَّةُ؛ ويوجَّه الأوَّلُ: على أنَّ أقلَّ الجمعِ اثنان، أو باعتبارِ مَن كان معَهُما مِن النِّسْوة. ينظر: «الكواكب الدراري» للكِرْماني (٤/ ٨٨)، و«عُمْدة القاري» (٤/ ١٧٤)، و«إرشاد الساري» (١/ ٤٣٠).

وأخرَجَ البخاريُّ (٤٣٧)، ومسلمٌ (٥٣٠)؛ كلاهما مِن طريقِ ابنِ شهابٍ، عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ!**».

واتخاذُها مساجدَ يكونُ بالصلاةِ عندها، أو بناءِ المساجدِ عليها؛ فمَن فعَلَ هذا بقبورِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، فإنَّه يُصبحُ مِن شرارِ الخَلْقِ، ويكونُ ممَّن لعَنَهُ اللهُ تعالى، والعياذُ باللهِ؛ فقُبُورُ غيرِهم مِن بابٍ أَوْلى.

وأخرَجَ مسلمٌ (٥٣٢)؛ مِن طريقِ عمرِو بنِ مُرَّةَ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ النَّجْرانيِّ، قال: حدَّثَني جُنْدُبٌ؛ قال: «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أنْ يَمُوتَ بخَمْسٍ وهو يقولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ تعالى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ؛ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ!**»».

في هذا الحديثِ: حذَّر ﷺ مِن هذا الفعلِ قبل موتِهِ بخمسةِ أيّامٍ، بل وحذَّر منه ﷺ وهو في سِياقِ الموتِ؛ كما أخرَجَ البخاريُّ (٤٣٥ و٤٣٦)، ومسلمٌ (٥٣١)؛ كلاهما مِن حديثِ الزُّهْريِّ، عن عُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُتْبةَ؛ أنَّ عائشةَ وعبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ قالا: «لمَّا نُزِلَ برسولِ اللهِ ﷺ، طَفِقَ يَطرَحُ خَمِيصةً له على وجهِهِ، فإذا اغتَمَّ بها، كشَفَها عن وجهِهِ، فقال وهو كذلك: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ!**»؛ يحذِّرُ ما صنَعوا.

وقد سار على هذا النهجِ القويمْ، والمَسلَكِ المستقيمْ: خلفاؤُهُ مِن بعدِهِ ﷺ؛ فقد أخرَجَ ابنُ وضَّاحٍ[1]؛ مِن حديثِ الأعمشِ، عن المعرورِ بنِ

(١) في «البدع» (١٠٦ ط. مكتبة ابن تيمية/ط٢). وأخرجه عبد الرزَّاق (٢٧٣٤)، وابن أبي شَيْبة (٧٦٣٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» ـ كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٥١ ـ ٧٥٢ ط. ناصر العقل) ـ كلُّهم مِن طريق الأعمش، به؛ وهو صحيح، وحكَمَ الحافظُ ابنُ حجرٍ بثبوتِ هذا الأثر؛ كما في «الفتح» (١/ ٥٦٩).

سُوَيْدٍ، قال: «خرَجْنا حُجَّاجًا مع عُمَرَ بنِ الخطَّابِ، فعرَضَ لنا في بعضِ الطريقِ مَسجِدٌ، فابتدَرَهُ الناسُ يصلُّون فيه، فقال عمرُ: «ما شأنُهم؟»، فقالوا: «هذا مَسجِدٌ صلَّى فيه رسولُ اللهِ ﷺ»، فقال عمرُ: «أيُّها الناسُ، إنَّما هلَكَ مَن كان قبلَكُمْ باتِّباعِهم مِثْلَ هذا، حتى أحدَثُوا بِيَعًا؛ فمَن عرَضَتْ له فيه صلاةٌ، فلْيُصلِّ، ومَن لم تَعرِضْ له فيه صلاةٌ، فلْيَمْضِ».

وفي روايةٍ أخرى أخرَجها ابنُ وضَّاح[1]: أنَّه رضي الله عنه عندما صلَّى الغَدَاةَ، رأى الناسَ يَذهبونَ مَذهبًا، فقال: «أينَ يَذهَبُ هؤلاءِ؟»، قيل: «يا أميرَ المؤمِنين، مَسجِدٌ صلَّى فيه رسولُ اللهِ ﷺ هم يأتون يصلُّون فيه»، فقال: «إنَّما هلَكَ مَن كان قبلَكم بمثلِ هذا؛ يَتَّبِعون آثارَ أنبيائِهم، فيَتَّخِذونَها كنائسَ وبِيَعًا؛ مَن أدركَتْهُ الصلاةُ في هذا المَسجِدِ، فلْيُصلِّ، ومَن لا، فلْيَمْضِ ولا يَتعمَّدْها».

فقد أنكَرَ أميرُ المؤمِنين عمرُ رضي الله عنه هذا الفعلَ، وهو التبرُّكُ بالأماكنِ التي صلَّى فيها رسولُ اللهِ ﷺ، وبيَّن أنَّه بسببِ هذا الفعلِ هلَكَتِ الأممُ السابقة.

وقد أمَرَ عُمَرُ رضي الله عنه بقطعِ الشجرةِ التي زُعِمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بايَعَ تحتَها الناسَ[2]، مع أنَّ اللهَ تعالى أنسَى صحابةَ رسولِ اللهِ ﷺ مكانَ هذه الشجَرةِ التي بايَعُوا عندَها رسولَ اللهِ ﷺ؛ رحمةً بهم وبمَن أتى مِن بعدِهم:

فقد أخرَجَ البخاريُّ في «صحيحِهِ» (٢٩٥٨)؛ مِن حديثِ نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: «رجَعْنا مِن العامِ المُقبِلِ، فما اجتمَعَ مِنَّا اثنانِ على الشَّجَرةِ التي بايَعْنا تَحْتَها؛ كانت رحمةً مِن اللهِ».

وأخرَجَ البخاريُّ (٤١٦٣)، ومسلمٌ (١٨٥٩)؛ مِن حديثِ سعيدِ بنِ المسيِّبِ، قال: حدَّثَني أبي أنَّه كان فيمَنْ بايَعَ رسولَ اللهِ ﷺ تحتَ الشَّجَرةِ؛ قال: «فلمَّا خرَجْنا مِن العامِ المُقبِلِ، نَسِيناها، فلم نَقدِرْ عليها»، فقال سعيدٌ: «إنَّ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ لم يَعْلَمُوها وعَلِمْتُموها أنتم؟! فأنتم أعلم!».

---

(١) في «البدع» (١٠٥).
(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبَقات» (٢/ ٩٦)، وابن وضَّاح في «البدع» (١٠٧) وابن أبي شَيْبة في «المصنَّف» (٧٦٢٧).

قال أبو الفضلِ ابنُ حجرٍ[(١)]، تعليقًا على هذا الحديثِ: «وبيانُ الحكمةِ في ذلك: ألَّا يحصُلَ بها افتتانٌ؛ لمَا وقَعَ تحتَها مِن الخيرِ، فلو بَقِيَتْ، لَمَا أُمِنَ تعظيمُ الجُهَّالِ لها، حتى ربَّما أفضى بهم إلى اعتقادِ أنَّ لها قُوَّةَ نفعٍ أو ضرٍّ، كما نراه الآنَ مشاهَدًا فيما هو دُونَها، وإلى ذلك أشار ابنُ عُمَرَ بقولِهِ: «كانت رَحْمَةً مِن اللهِ»؛ أي: كان خفاؤُها عليهم بعد ذلك رحمةً مِن اللهِ تعالى».

قلتُ: ومع ما تقدَّم مِن كونِ الصحابةِ أُنسُوا مكانَها ولم يَعرِفُوهُ، حتى جاء قومٌ مِن بعدِهم زعَمُوا أنَّهم يَعرِفونَ مكانَها؛ كما وقَعَ ذلك في عهدِ عمرَ ﵁؛ فعندئذٍ: أمَرَ عمرُ ﵁ بقطعِ هذه الشجَرةِ التي يُزعَمُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بُويعَ تحتَها، ثم بعدَ عهدِ عمرَ: جاء مَن يدَّعي مَعرِفتَهُ بهذه الشجَرةِ؛ فقد أخرَجَ البخاريُّ في «صحيحِهِ» (٤١٦٣)؛ مِن حديثِ طارقِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ، قال: انطلَقْتُ حاجًّا، فمَرَرْتُ بقومٍ يصلُّون، قلتُ: «ما هذا المسجدُ؟»، قالوا: «هذه الشَّجرةُ؛ حيثُ بايَعَ رسولُ اللهِ ﷺ بَيْعةَ الرِّضْوانِ».

قلتُ: وهذا بعد عهدِ عمرَ؛ لأنَّ طارقَ بنَ عبدِ الرحمٰنِ مِن صغارِ التابِعين، ومَن كان مثلَهُ لم يُدرِكْ عهدَ عمرَ ﵁، وإنَّما وُلِدَ بعدَ عهدِ عمرَ ﵁.

وقد سار السلفُ الصالحُ على هذا النَّهْجِ؛ فقد كانوا لا يأتُونَ إلى مثلِ هذه الأماكنِ؛ بل ويُنكِرونَ على مَنْ يَقصِدُ هذه الأماكن:

قال أبو عبدِ اللهِ ابنُ وَضَّاحٍ القُرْطُبيُّ[(٢)]: «كان مالكُ بنُ أنسٍ وغيرُهُ مِن علماءِ المدينةِ يَكرَهونَ إتيانَ تلك المساجدِ وتلك الآثارِ للنبيِّ ﷺ، ما عدا قُباءَ وأُحُدًا».

قال ابنُ وَضَّاحٍ: «وسَمِعتُهم يذكُرونَ أنَّ سفيانَ الثَّوْريَّ دخَلَ مَسجدَ بيتِ المَقْدِسِ، فصلَّى ولم يَتَّبِعْ تلك الآثارَ ولا الصلاةَ فيها، وكذلك فعَلَ غيرُهُ أيضًا ممَّن يُقتدَى به، وقَدِمَ وكيعٌ أيضًا مَسجِدَ بيتِ المَقدِسِ، فلم يَعْدُ فعلَ سفيانَ».

---

(١) في «الفتح» (٦/ ١١٨).

(٢) في كتابِهِ «البدع» (ص٨٠).

قال ابنُ وضَّاحٍ: «فعليكم بالاتِّباعِ لأئمَّةِ الهدى المعروفِين؛ فقد قال بعضُ مَن مضى: «كم مِن أمرٍ هو اليومَ معروفٌ عند كثيرٍ مِن الناسِ، كان مُنكَرًا عند مَن مضى! ومتحبِّبٍ إليه بما يُبغِضُهُ عليه! ومتقرِّبٍ إليه بما يُبعِدُهُ منه! وكلُّ بدعةٍ عليها زِينةٌ وبَهْجَة!»».

وهذا الذي ذكَرَهُ ابنُ وضَّاحٍ أمرٌ معلومٌ وظاهرٌ؛ ولذلك قال أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ: «وهذا ممَّا عُلِمَ بالتواتُرِ والضرورةِ مِن دِينِ الرسولِ ﷺ؛ فإنَّه أمَرَ بعمارةِ المساجِدِ والصلاةِ فيها، ولم يأمُرْ ببناءِ مَشهَدٍ؛ لا على قبرِ نبيٍّ، ولا غيرِ قبرِ نبيٍّ، ولا على مَقامِ نبيٍّ، ولم يكُنْ على عهدِ الصحابةِ والتابِعِينَ وتابِعِيهم في بلادِ الإسلامِ ـ لا الحجازِ، ولا الشامِ، ولا اليمَنِ، ولا العراقِ، ولا خُراسانَ، ولا مِصْرَ، ولا المَغرِبِ ـ: مَسجِدٌ مبنيٌّ على قبرٍ، ولا مَشهَدٌ يُقصَدُ للزيارةِ أصلًا، ولم يكُنْ أحدٌ مِن السلفِ يأتي إلى قبرِ نبيٍّ أو غيرِ نبيٍّ لأجلِ الدعاءِ عنده، ولا كان الصحابةُ يَقصِدونَ الدعاءَ عند قبرِ النبيِّ ﷺ، ولا عند قبرِ غيرِهِ مِن الأنبياءِ، وإنَّما كانوا يصلُّون ويسلِّمون على النبيِّ ﷺ وعلى صاحبَيْهِ»[(١)].

فتبيَّن مما تقدَّم: أنَّ تتبُّعَ آثارِ الأولياءِ والصالِحِينَ المكانيَّةِ، مِن البدعِ الشيطانيَّةِ، ومِن طُرُقِ اليهوديَّةِ والنصرانيَّةِ، وغيرِهم مِن أهلِ الجاهليَّةِ.

أخرَجَ مَعمَرٌ في «جامعِهِ»[(٢)]، عن الزُّهْريِّ، عن سِنَانِ بنِ أبي سِنَانٍ الدِّيلِيِّ، عن أبي واقدٍ اللَّيْثيِّ، قال: خرَجْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ حُنَيْنٍ، فمرَرْنا بسِدْرةٍ، فقُلْنا: «أيْ رسولَ اللهِ، اجعَلْ لنا هذه ذاتَ أنواطٍ؛ كما لِلكُفَّارِ ذاتُ أنواطٍ»، وكان الكُفَّارُ يَنُوطُونَ سِلَاحَهُمْ بسِدْرةٍ، ويعكُفُونَ حولَها، فقال النبيُّ ﷺ: «**اللهُ أكبَرُ! هَذِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾؛ **إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**».

وأخرجه ابنُ إسحاقَ في «السيرةِ» ـ كما في «سيرةِ ابنِ هشامٍ» (٢/ ٤٤٢) ـ.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٦٢).
(٢) وهو المطبوعُ مع «مصنَّفِ عبدِ الرزاقِ» (٢٠٧٦٣).

وأبو داودَ الطيالسيُّ (١٤٤٣)، والحُمَيديُّ (٨٤٨)، وأحمدُ (٢١٨٩٧ و٢١٩٠٠)، والتِّرمِذيُّ (٢١٨٠)، وغيرُهم؛ مِن طريقِ الزُّهْريِّ، به، وقال التِّرمِذيُّ: «حسَنٌ صحيحٌ».

وأخرَجَ البخاريُّ في «صحيحِهِ» (٤٨٥٩)؛ مِن طريقِ أبي الأَشهَبِ، عن أبي الجَوْزاءِ، عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ في قولِهِ تعالى: «اللَّاتَّ[١] وَالعُزَّى»؛ قال: «كان اللَّاتُّ رجلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحاجِّ».

وأخرجه ابنُ أبي حاتمٍ[٢]؛ مِن طريقِ عمرِو بنِ مالكٍ، عن أبي الجَوْزاءِ، به؛ ولفظُهُ: «كان يَلُتُّ السَّوِيقَ على الحَجَرِ؛ فما يَشرَبُ منه أحَدٌ إلَّا سَمِنَ، فعبَدُوهُ».

فهذه الأفعالُ ـ وهي العكوفُ عند قبورِ الأولياءِ والصالِحين، والتبرُّكُ بالأحجارِ والأشجارِ ـ طريقةُ أهلِ الجاهليَّةِ؛ ومَن تشبَّه بقومٍ، فهو مِنهم.

قال أبو بكرٍ الطُّرْطُوشيُّ[٣] ـ بعد أن ذكَرَ حديثَ أبي واقدٍ اللَّيْثيِّ

---

(١) بتشديدِ التاءِ مع المدِّ؛ لالتقاءِ الساكنَيْن؛ في قراءةِ ابنِ عبَّاسٍ، وابنِ الزُّبَيْر، ومجاهدٍ، والنحويِّ عن يعقوب، والنحاسِ عن رُوَيْس، وابنِ كَثِيرٍ في روايةِ اللِّهْبيِّ عن البَزِّيِّ عنه، وابنِ عامرٍ في روايةِ الوليدِ بنِ مسلِمٍ عنه، وهبةِ اللهِ عن البَزِّيِّ، والوليدِ بن حَسَّانَ عن يعقوب، وغيرهم.
و«اللَّاتُّ» بالتشديد: اسمُ فاعلٍ مِن اللَّتِّ، قيل: هو رجلٌ صالحٌ كان يلُتُّ السويقَ للحجَّاج؛ أي: يَجعَلُ فيه السمنَ، ويُطعِمُهُ الحجَّاج، فلمَّا مات، عكَفُوا على قبرِهِ لصلاحِهِ، فعبَدُوه، فصار وثَنًا لأهلِ الطائفِ، والسويقُ: دقيقُ الحِنْطةِ والشعيرِ يُبَلُّ بالسمنِ أو بالماء؛ وعلى ذلك: فـ «اللاتُّ» بالتشديد: اسمٌ للرجل؛ لأنه كان يلُتُّ السويقَ، وأمَّا «اللاتُ» بالتخفيف: فهو اسمٌ للصخرةِ التي يلُتُّ عليها السويقَ، وقيل غير ذلك.
ينظر: «الكامل في القراءات العشر» (ص٤٢٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٥)، و«مختصر سيرة الرسول ﷺ» لمحمد بن عبد الوهاب (ص٢٣، ٧٥)، و«فتاوى ومسائل» (مطبوع ضمن مؤلَّفات الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، الجزء الرابع) (ص٧١)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٢٩)، و«التوضيحات الكاشفاتْ، على كشف الشُّبُهات» (ص١٢٦)، و«معجَم القراءات» للخطيب (٩/ ١٨٤ ـ ١٨٥).
(٢) كما في «فتح الباري» (٨/ ٦١٢).
(٣) في «الحوادثِ والبِدَع» (ص٣٨ ـ ٣٩).

السابقَ ـ: «فانظُروا ـ رحمكم الله ـ أيضًا أينما وجَدتُّم سِدْرةً أو شجَرةً يَقصِدُها الناسُ، ويعظِّمون مِن شأنِها، ويَرجُونَ البُرْءَ والشفاءَ مِن قِبَلِها، ويَنُوطُونَ بها المسامِيرَ والخِرَقَ، فهي ذاتُ أنواطٍ؛ فاقطَعُوها».

وقال عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسماعيلَ، المعروفُ بأبي شامةَ[(١)]: «ولقد أعجَبَني ما صنَعَهُ الشيخُ أبو إسحاقَ الجبينانيُّ رحمه الله تعالى أحدُ الصالِحِين ببلادِ إفريقيَّةَ في المائةِ الرابعةِ؛ حكى عنه صاحبُهُ الصالحُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ المؤدِّبُ؛ أنَّه كان إلى جانبِهِ عَيْنٌ تسمَّى: «عَيْنَ العافيةِ»، كانت العامَّةُ قد افتتنوا بها، يأتونها مِن الآفاقِ؛ مَن تعذَّر عليها نكاحٌ أو ولَدٌ، قالت: «امضُوا بي إلى العافيةِ»؛ فتُعرَفُ بها الفتنةُ.

قال أبو عبدِ اللهِ: فإنَّا في السَّحَرِ ذاتَ ليلةٍ، إذْ سَمِعتُ أذانَ أبي إسحاقَ نحوَها، فخرَجْتُ، فوجَدتُّهُ قد هدَمَها، وأذَّن الصبحَ عليها، ثم قال: «اللَّهُمَّ، إنِّي هدَمْتُها لك؛ فلا تَرفَعْ لها رأسًا»، قال: «فما رُفِعَ لها رأسٌ إلى الآنَ».

وقال أبو الوفاءِ ابنُ عَقِيلٍ[(٢)]: «لـمَّا شَقَّتِ[(٣)] التكاليفُ على الجُهَّالِ والطَّغَامِ، عدَلُوا عن أوضاعِ الشرعِ، إلى تعظيمِ أوضاعٍ وضَعُوها لأنفُسِهِم، فسَهُلَتْ عليهم؛ إذْ لم يدخُلُوا بها تحتَ أمرِ غيرِهم».

قال: «وهم كفَّارٌ عندي بهذه الأوضاعِ؛ مثلُ: تعظيمِ القبورِ، وإكرامِها بما نَهَى الشرعُ عنه؛ مِن إيقادِ النِّيرانِ، وتقبيلِها، وتخليقِها[(٤)]، وخطابِ الموتى بالحوائجِ[(٥)]، وكَتْبِ الرِّقَاعِ فيها: «يا مَوْلايَ، افعَلْ بي كذا وكذا»، وأَخْذِ الترابِ تبرُّكًا، وإفاضةِ الطِّيبِ على القبورِ، وشَدِّ الرِّحالِ إليها، وإلقاءِ الخِرَقِ

(١) في «الباعث، على إنكارِ البدعِ والحوادثْ» (ص١٠٣ ـ ١٠٤).
(٢) نقَلَهُ عنه ابنُ الجَوْزيِّ في البابِ الثانيَ عشَرَ من «تلبيسِ إبليس» (ص٥٧٥)، وابنُ القيِّم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣).
(٣) في «إغاثة اللهفان»: «لما صَعُبَتْ».
(٤) في ثلاث طبعات من «التلبيس»: «وتخليفها» بالفاء؛ والتصويبُ من «إغاثة اللهفان»؛ ومعناه: تضميخُها بالخَلُوقِ، وهو نوعٌ مِن الطِّيب.
(٥) في «التلبيس»: «بالألواح»؛ والتصويبُ من «إغاثة اللهفان».

على الشجرِ؛ اقتداءً بمَن عبدَ اللاتَ والعُزَّى، ولا تجدُ في هؤلاءِ مَن يحقِّقُ مسألةً في زكاةٍ، فيسأَلُ عن حكمٍ يَلزَمُه.

والويلُ عندهم لمن لم يقبِّلْ مَشهَدَ الكَفِّ[١]، ولم يتمسَّحْ بآجُرَّةِ مسجِدِ المأمونيَّةِ[٢] يومَ الأربعاءِ، ولم يقُلِ الحَمَّالونَ على جِنَازتِهِ: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، أو محمَّدٌ أو عليٌّ، ولم يكنْ معها نِيَاحةٌ، ولم يَعقِدْ على قبرِ أبيه أَزَجًا بالجَصِّ والآجُرِّ، ولم يشُقَّ ثوبَهُ إلى ذَيْلِه، ولم يُرِقْ ماءَ الوَرْدِ على القبرِ، ويَدفِنْ معه ثِيَابَه».

وقال السُّوَيْديُّ[٣]: «ومِن أعظمِ البدعِ: الغُلُوُّ في تعظيمِ القبورِ؛ فلقد اتَّخَذُوها في هذا الزمانِ مَعابِدَ يَعتقِدونَ أنَّ الصلاةَ عندَها أفضلُ مِن الصلاةِ في جميعِ بيوتِ اللهِ، وهم ـ وإنْ لم يصرِّحوا ـ ولكن طُبِعَتْ قلوبُهم على ذلك؛ فتراهم يَقصِدُونها مِن الأماكنِ البعيدةِ، وربَّما أن تكونَ بحِذَائِهم مساجدُ مهجورةٌ فيعطِّلونها، وإذا لَحِقُوا على الصلاةِ فيها ـ ولو في أوقاتِ الكراهةِ ـ كانت أفضلَ عندَهم مِن الصلاةِ في الأوقاتِ الفضيلةِ في المساجدِ، وتلك المساجدُ التي بحِذَاءِ القبورِ ليست مقصودةً لكونِها بيوتًا للهِ، بل لكونِها حَضَراتٍ لمَنِ انتسَبَتْ إليه مِن أهلِ تلك القبورِ؛ يدُلُّكَ على ذلك كلِّه: أنَّهم لا يسمُّونها إلَّا «حَضَراتٍ»، فإذا قلتَ لأحدِهم: «أين صَلَّيْتَ؟»، قال لك: «صلَّيْتُ في حَضْرةِ الشيخِ فلانٍ»، وليس مقصودُهم به إلا التقرُّبَ به وبحَضْرتِه.

وكلَّما أكثَرَ الرجلُ التَّرْدادَ إلى القبورِ ـ ولو كانت مشتمِلةً على أنواعِ المنكَراتِ مِن ستورِ الحريرِ والدِّيباجِ، والترصيعِ بالفِضَّةِ والعِقْيانِ، فضلًا عن غيرِها ـ كان مشهورًا بين الناسِ بالدِّيَاناتِ، مغفورَ الزَّلَّاتْ، مقرَّبًا عند أصحابِ تلك الحَضَراتْ.

---

(١) في «التلبيس»: «مشهد الكهف»؛ والتصويبُ من «إغاثة اللهفان».

(٢) في «إغاثة اللهفان»، وكتبٍ كثيرةٍ نقَلَتْ عنه: «مسجِدِ الملموسة»؛ وهو تحريفٌ، والمثبَتُ من «التلبيس»، وهو الصوابُ؛ كما في «الكامل» لابن الأثير (٨/ ٥٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (١١/ ١٣)، (١٣/ ٣٢٨)، (١٤/ ٦٢٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٩)، (٢٣/ ٢٥٣).

(٣) كما في «غاية الأماني» (١/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠).

ولقد امتلَأَتْ قلوبُ العوامِّ مِن رَجَائهم ومَخَافتِهم؛ فتراهم إذا أعضَلَتْ عليهم الأمورْ، أوصى بعضُهم بعضًا بقصدِ أصحابِ القبورْ، وكذلك إذا وقَعَ على أحدٍ يمينٌ باللهِ، حلَفَ به مِن غيرِ أدنى وجَلٍ أو حذَرٍ، وإذا قيل له: «احلِفْ بفلانٍ عند قبره» ـ خصوصًا إذا أمَرَهُ بالغُسْلِ لهذا اليمينِ؛ ليكونَ ذلك مِن أقوى العباداتِ ـ خاف خوفًا يَظهَرُ على جميعِ جوارحِه.

فلو سَلَّمْنا أنَّه أُدخِلَ إلى قبرِهِ، ارتعَدَتْ فرائصُه، وانحَلَّتْ قُوَاه، وربَّما أنَّ أحدَهم لكثرةِ أوهامِهِ وشِدَّةِ خوفِهِ، تبطُلُ حواسُّهُ؛ فيزدادون كفرًا، وتَضحَكُ عليهم الشياطينُ جَهْرًا، وترى كثيرًا منهم يعلِّقون مرضاهم عليهم، فيأخُذونَ المريضَ وهو في غايةِ شِدَّتِه، فيُدخِلونَهُ على قبرِه، والسعيدُ عندَهم مَن يُدخِلونَهُ داخِلَ شُبَّاكِه، ويَتعلَّقُ بسِتْرِ قبرِه، والرَّزِيَّةُ العظمى أنَّهم في حالتي السرَّاءِ والضرَّاءِ يتلاعَبُ إبليسُ بهم؛ فإنْ مات مريضُهم، قالوا: «ما قَبِلَنا الشيخُ فلانٌ»؛ يعنون: به صاحِبَ القبرِ، وإنْ صادَفَ القدَرُ، فعُوفِيَ ـ سيَّما إذا وافَقَ مطلوبُهم ذلك الوقتَ ـ فَرِحُوا بما عندَهم مِن الكفرِ، فأرسَلُوا القَرَابين، ومعها شُمُوعُ العسَلِ موقَدةً مِن بيوتِهم؛ إظهارًا لِقَدْرِ صاحبِ القبرِ، وتنبيهًا على فضيلتِه.

وكثيرًا ما ينشُرُونَ الراياتِ له على طريقةِ أهلِ الجهلِ مِن الأعرابِ؛ أنَّ مَن فعَلَ شيئًا عظيمًا، نُشِرَتْ له رايةٌ بيضاءُ، وقد رأيتُ مَن لم يَفعَلْ ذلك، ولكنَّه يَنصِبُ رايةً بيضاءَ على سطحِ دارِهِ ثلاثةَ أيامٍ يصيحُ كلَّ يومٍ وقتَ المغربِ بأعلى صوتِهِ: «الرايةُ البيضاءُ المبنيَّةُ لفلانٍ، بيَّضَ اللهُ وجهَهُ».

قال: «وبالجملةِ: فأكثَرُ البدعِ الخبيثةِ: نشَأَتْ مِن هنالك؛ حتى إنِّي رأيتُ بدِمَشْقِ الشامِ أناسًا يَنذِرُونَ للشيخِ عبدِ القادرِ الجِيليِّ قِنديلًا يعلِّقونه في رؤوسِ المنابرِ، ويستقبِلون به جِهَةَ بغدادَ، ويبقى مُوقَدًا إلى الصباحِ، وهم يعتقِدُونَ أنَّ ذلك مِن أتمِّ القُرُباتِ إليه، كأنَّهم يقولون بلسانِ حالِهم: «أينما تُوقِدوا، فثَمَّ عبدُ القادر!»».

فيا للهِ العجَبِ! ما هذه الخُرَافاتْ؟! وأين دِينُ اللهِ الذي قد ماتْ؟! بالَ الشيطانُ في عقولِهم، وأضلَّهم عن سبيلِهم، ولا ترى أحدًا ينهى ويُنكِرُ أمثالَ ذلك.

وأعظمُ ما هنالك، ومِن أقبحِ المنكَراتِ: ما يَستعمِلُها جميعُ الناسِ عند وضعِ الإناثِ، ولا سيَّما في شِدَّةِ الطَّلْقِ؛ فإنَّهُنَّ يَستغِثْنَ بعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وكلَّما اشتدَّ الطَّلْقُ صاحَتِ النساءُ بأعلى أصواتِهِنَّ داعياتٍ ومستغيثاتٍ به؛ ليفرِّجَ عنهنَّ ما قد كرَبَهُنَّ، ومَن يَسمَعْهُنَّ يَتيقَّنْ إشراكَهُنَّ، وقلَّما تَسلَمُ امرأةٌ مِنهنَّ في هذا الحالِ العظيمْ، والخَطْبِ الجسيمْ، وكثيرٌ منهنَّ يزعُمْنَ أنَّه الموكَّلُ بالأرحامْ، والموكَّلُ إليه في هذه الأحوالِ العظامْ.

ومِن البدعِ المنكَرةِ: أنَّ كثيرًا مِن أهلِ الهندِ وأهلِ الأماكنِ القاصيةِ يُرسِلونَ الهدايا العظيمةَ والأموالَ الكثيرةَ:

إمَّا لإجراءِ القَنَواتِ لأجلِ المجاوِرِينَ عند قبورِهم؛ فإنَّهم عندَهم أفضلُ خلقِ اللهِ، ومَن جاوَرَ عندَهم، فكأنَّما ابتاعَ منهم قطعةً مِن الجِنَانِ.

وإمَّا لعمَلِ قِبَابِهم بصفائحِ الذهَبِ والعِقْيان.

وبعضُهم يُرسِلُ هدايا عظيمةً؛ ليُرسِلَ له السَّدَنةُ أعلامًا ينشُرُونها على فَلَكِهم، إذا وقَعُوا في شِدَّتِهم؛ فيكونُ اسمُهُ المكتوبُ في تلك الأعلامِ المرسَلةِ إليهم كَشَّافًا لكُرْبتِهم، نَفَّاعًا لهم بإنجاحِ بُغْيتِهم».

قال: «وأكثرُ نساءِ بغدادَ إذا قُمْنَ صحيحاتٍ مِن وَضْعِهِنَّ، يَخبِزْنَ خُبْزًا يسمِّينَهُ: عبَّاسَ المستعجِلَ، يزعُمْنَ أنَّ العبَّاسَ بنَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ هو المتكفِّلُ بهذه الأمورِ العظام.

ومِن ذلك عند الناسِ: شيءٌ كثيرٌ مِن أحجارٍ وآبارْ، وصخورٍ وأشجارْ؛ يزعُمونَ منها شفاءَ الأمراض، وقضاءَ الحاجاتْ، وتفريجَ الكُرُباتْ.

ولو بسَطْتُ الكلامَ في ذلك ـ ممَّا يستعمِلُهُ الرجالُ والنساءُ، أو يَختَصُّ بالنساءِ مِن أشياءَ يعلِّقْنَها عليهنَّ، ويبيِّنُ خواصَّها وتأثيراتِها في أزواجِهِنَّ ويسمِّينَها بأسماءٍ؛ لو رجَعَتِ الجاهليَّةُ الأولى، لعجَزَتْ عن أقلِّ القليلِ مِن هذه الجَهَالاتْ، وسوءِ الاعتقاداتْ ـ لاحتمَلَ مجلَّداتْ، والويلُ كلُّ الويلِ لمَن أنكَرَ ذلكْ، أو تكلَّمَ بأدنى شيءٍ يُنجِي مِن تِلكُمُ المَهالِكْ». اهـ.

قلتُ: ويؤيِّدُ ما قاله العلَّامةُ السُّوَيْديُّ رحمه الله تعالى: ما قاله الأديبُ

مصطفى المَنفَلُوطيُّ(١)، تحتَ عنوانِ: «دَمْعةٌ على الإسلام!»؛ يقولُ:

«كتَبَ إليَّ أحدُ علماءِ الهندِ كتابًا يقولُ فيه: «إنَّه اطَّلَعَ على مؤلَّفٍ ظَهَرَ حديثًا بلغةِ «التامِيلِ»، وهي لغةُ الهنودِ الساكِنِينَ بناقُورَ ومُلحَقاتِها بجنوبِ مِدْراس، **موضوعُهُ**: «تاريخُ حياةِ السيِّدِ عبدِ القادرِ الجِيلانيِّ، وذِكْرُ مناقبِهِ وكراماتِه»، فرأى فيه مِن الصفاتِ والألقابِ ـ التي وصَفَ بها الكاتبُ السيِّدَ عبدَ القادرِ ولقَّبه بها ـ صفاتٍ وألقابًا هي بمقامِ الألوهيَّةِ أليَقُ منها بمقامِ النبوَّةِ، فضلًا عن مقامِ الوَلَايةِ؛ كقولِهِ: «سَيِّدُ السمٰواتِ والأرضِ»، و«النفَّاعُ الضرَّارُ»، و«المتصرِّفُ في الأكوانِ»، و«المطَّلِعُ على أسرارِ الخليقةِ»، و«مُحيِي الموتى»، و«مُبرِئُ الأعمى والأبرَصِ والأكمَهِ»، و«أمرُهُ مِن أمرِ اللهِ»، و«ماحي الذنوبِ»، و«دافعُ البلاءِ»، و«الرافعُ الواضعُ»، و«صاحبُ الشريعةِ»، و«صاحبُ الوجودِ التامِّ»، إلى كثيرٍ مِن أمثالِ هذه النعوتِ والألقاب!

ويقولُ الكاتبُ: «إنَّه رأى في ذلك الكتابِ فصلًا يَشرَحُ فيه المؤلِّفُ الكيفيَّةَ التي يجبُ أن يتكيَّفَ بها الزائرُ لقبرِ السيِّدِ عبدِ القادرِ الجِيلانيِّ يقولُ فيه:

«أوَّلُ ما يجبُ على الزائرِ: أن يتوضَّأَ وضوءًا سابغًا، ثم يصلِّيَ ركعتَيْنِ بخشوعٍ واستحضارٍ، ثم يتوجَّهَ إلى تلك الكعبةِ المشرَّفةِ، وبعد السلامِ على صاحبِ الضريحِ المعظَّمِ، يقولُ:

«يا صاحبَ الثَّقَلَيْن، أَغِثْني، وأَمِدَّني بقضاءِ حاجتي، وتفريجِ كُرْبتي، أَغِثْني يا مُحيِيَ الدِّينِ عبدَ القادِرِ، أَغِثْني يا وليُّ عبدَ القادرِ، أَغِثْني يا سلطانُ عبدَ القادرِ، أَغِثْني يا بادشاه عبدَ القادرِ، أَغِثْني يا خوجه عبدَ القادر».

«يا حضرةَ الغَوْثِ الصَّمَدانيِّ، يا سيِّدُ عبدَ القادرِ الجِيلانيَّ؛ عبدُكَ ومُرِيدُكَ مظلومٌ عاجزٌ، محتاجٌ إليك في جميعِ الأمورِ في الدِّينِ والدنيا والآخِرة!».

ويقولُ الكاتبُ أيضًا: «إنَّ في بلدةِ «ناقُورَ» في الهندِ قبرًا يسمَّى: «شاه

---

(١) في كتابِهِ: «النَّظَراتِ» (٣١١ ـ ٣١٦ ط. دار الجيل).

الحميد»، وهو أحدُ أولادِ السيِّدِ عبدِ القادرِ - كما يزعُمون - وأنَّ الهنودَ يسجُدونَ بين يدَيْ ذلك القبرِ سجودَهُم بين يدَيِ اللهِ، وأنَّ في كلِّ بلدةٍ مِن بُلْدانِ الهنودِ وقُرَاها مَزَارًا يمثِّلُ مَزَارَ السيِّدِ عبدِ القادرِ؛ فيكونُ القِبْلَةَ التي يتوجَّهُ إليها المسلِمونَ في تلك البلادِ، والمَلجَأَ الذي يَلجَؤونَ في حاجاتِهم وشدائدِهم إليه، ويُنفِقونَ مِن الأموالِ على خِدْمتِهِ وسَدَنَتِه، وفي موالِدِهِ وحَضَراتِهِ ما لو أُنفِقَ على فقراءِ الأرضِ جميعًا، لصاروا أغنياءَ».

هذا ما كتَبَهُ إليَّ ذلك الكاتبُ، ويَعلَمُ اللهُ أنِّي ما أتمَمْتُ قراءةَ رسالتِهِ حتى دارت بي الأرضُ الفضاءُ، وأظلَمَتِ الدنيا في عينيَّ؛ فما أُبصِرُ ممَّا حولي شيئًا؛ حُزْنًا وأسَفًا على ما آلَتْ إليه حالةُ الإسلامِ بين أقوامٍ أنكَروهُ بعدما عرَفُوه، ووضَعُوهُ بعدَما رفَعُوه، وذهَبُوا به مذاهبَ لا يَعرِفُها، ولا شأنَ له بها.

أيُّ عَيْنٍ يجمُلُ بها أن تستبقِيَ في مَحاجِرِها قَطْرةً واحدةً مِن الدمعِ، فلا تُرِيقَها أمامَ هذا المَنظَرِ المؤثِّرِ المُحزِنِ: مَنظَرِ أولئك المسلِمِينَ وهم رُكَّعٌ سُجَّدٌ على أعتابِ قبرٍ، ربَّما كان بينَهم مَن هو خيرٌ مِن ساكِنِهِ في حياتِه؛ فأحرى أن يكون كذلك بعد مماتِه؟!

أيُّ قلبٍ يستطيعُ أن يستقِرَّ بين جَنْبَيْ صاحبِهِ ساعةً واحدةً، فلا يَطِيرَ جَزَعًا حينما يرى المسلِمِينَ أصحابَ دِينِ التوحيدِ، أكثَرَ مِن المشرِكِينَ إشراكًا باللهِ، وأوسعَهُمْ دائرةً في تعدُّدِ الآلهةِ وكثرةِ المعبوداتِ؟!

ولِمَ يَنقِمُ المسلِمونَ التثليثَ مِن المسيحِيِّين؟! لِمَ يَحمِلونَ لهم في صدورِهم تلك المَوجِدةَ، وذلك الضِّغْنَ؟! وعَلَامَ يحارِبونهم؟! وفيما يقاتِلونهم وهم لم يبلُغُوا مِن الشركِ مَبلَغَهم؟! ولم يُغرِقُوا فيه إغراقَهم؟!

يَدِينُ المسيحيُّون بآلهةٍ ثلاثةٍ، ولكنَّهم يشعُرون بغَرَابةِ هذا التعدُّدِ وبُعْدِهِ عن العقلِ، فيتأوَّلونَ فيه؛ يقولون: «إنَّ الثلاثةَ في حُكْمِ الواحدِ»، أمَّا المسلِمونَ: فيَدِينونَ بآلافٍ مِن الآلهةِ أكثَرُها جُذُوعُ أشجارٍ، وجُثَثُ أمواتٍ، وقِطَعُ أحجارٍ؛ مِن حيثُ لا يشعُرون!

كثيرًا ما يُضمِرُ الإنسانُ في نفسِهِ أمرًا وهو لا يشعُرُ به، وكثيرًا ما تشتمِلُ

نفسُهُ على عقيدةٍ خفيَّةٍ لا يُحِسُّ باشتمالِ نفسِهِ عليها، ولا أرَى مثَلًا لذلك أقرَبَ مِن المسلِمِينَ الذين يلتجِئُونَ في حاجاتِهم ومطالِبِهم إلى سُكَّانِ القبورِ، ويَتضرَّعونَ إليهم تضرُّعَهُمْ للإلهِ المعبودِ، فإذا عتَبَ عليهم في ذلك عاتبٌ، قالوا: «إنَّا لا نعبُدُهم، وإنَّما نتوسَّلُ بهم إلى اللهِ»؛ كأنَّهم يشعُرونَ أنَّ العبادةَ ما هم فيه، وأنَّ أكبَرَ مَظهَرٍ لألوهيَّةِ الإلٰهِ المعبودِ: أن يَقِفَ عبادُهُ بين يدَيْهِ ضارِعِينَ خاشِعِين، يَلتمِسونَ إمدادَهُ ومعونتَهُ؛ فهم في الحقيقةِ عابِدونَ لأولئك الأمواتِ مِن حيثُ لا يشعُرون.

جاء الإسلامُ بعقيدةِ التوحيدِ؛ لِيَرفَعَ نفوسَ المسلِمِين، ويَغرِسَ في قلوبِهم الشرَفَ والعِزَّةَ والأَنَفَةَ والحَمِيَّهْ، ولِيُعتِقَ رقابَهم مِن رِقِّ العبوديَّهْ؛ فلا يَذِلَّ صغيرُهم لكبيرِهم، ولا يَهابَ ضعيفُهم قويَّهم، ولا يكونَ لذي سلطانٍ بينهم سلطانٌ إلا بالحقِّ والعَدْل، وقد ترَكَ الإسلامُ ـ بفضلِ عقيدةِ التوحيدِ ـ ذلك الأثَرَ الصالحَ في نفوسِ المسلِمِينَ في العصورِ الأولى؛ فكانوا ذوي أَنَفةٍ وعِزَّةٍ، وإِباءٍ وغَيْرةٍ؛ يَضرِبونَ على يدِ الظالمِ إذا ظلَمَ، ويقولون للسلطانِ إذا جاوَزَ حَدَّهُ في سلطانِهِ: «قِفْ مكانَك، ولا تَغْلُ في تقديرِ مِقْدارِ نفسِك؛ فإنَّما أنت عبدٌ مخلوقٌ، لا ربٌّ معبودٌ، واعلَمْ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ».

هذه صورةٌ مِن صُوَرِ نفوسِ المسلِمِينَ في عصرِ التوحيدِ؛ أمَّا اليومَ، وقد داخَلَ عقيدتَهم ما داخَلَها مِن الشركِ الباطنِ تارَةً، والظاهرِ أخرى، فقد ذَلَّتْ رقابُهم، وخفَقَتْ رؤوسُهم، وضرَعَتْ نفوسُهم، وفتَرَتْ حميَّتُهم؛ فرَضُوا بخُطَّةِ الخَسْفِ، واستناموا إلى المنزِلةِ الدنيا؛ فوجَدَ أعداؤُهم السبيلَ إليهم، فغلَبُوهم على أمرِهم، وملَكُوا عليهم نفوسَهم وأموالَهم، ومَواطِنَهم ودِيارَهم؛ فأصبَحُوا مِن الخاسِرين.

واللهِ، لن يسترجِعَ المسلِمون سالِفَ مجدِهم، ولن يبلُغُوا ما يريدون لأنفسِهم مِن سعادةِ الحياةِ وهناءتِها، إلا إذا استرجَعُوا قبلَ ذلك ما أضاعوه مِن عقيدةِ التوحيدِ. وإنَّ طلوعَ الشمسِ مِن مَغرِبِها، وانصبابَ ماءِ النهرِ في مَنبَعِه، أقرَبُ مِن رجوعِ الإسلامِ إلى سالِفِ مجدِه، ما دام المسلِمون يَقِفونَ بين يدَي

الجِيلانيِّ كما يَقفِونَ بين يدَي اللهِ، ويقولون للأوَّلِ كما يقولون للثاني: «أنتَ المتصرِّفُ في الكائناتْ»، و«أنتَ سيِّدُ الأَرَضِينَ والسمٰواتْ».

إنَّ اللهَ أغيَرُ على نفسِهِ مِن أن يُسعِدَ أقوامًا يَزدَرُونَهُ ويَحتقِرونَهُ ويتَّخِذونَهُ وراءَهم ظِهْرِيًّا؛ فإذا نزَلَت بهم جائحةٌ، أو ألمَّت بهم مُلِمَّةٌ، ذكَرُوا الحجَرَ قبل أن يذكُروهْ، ونادَوُا الجِذْعَ قبل أن ينادُوهْ...

يا قادةَ الأمَّةِ ورؤساءَها، عذَرْنا العامَّةَ في إشراكِها وفسادِ عقائدِها، وقُلْنا: «إنَّ العامِّيَّ أقصَرُ نظرًا، وأضعَفُ بصيرةً مِن أن يَتصوَّرَ الألوهيَّةَ إلا إذا رآها ماثلةً في: النُّصُبِ، والتماثيلِ، والأضرِحةِ، والقبورِ؛ فما عُذْرُكم أنتم وأنتم تَتْلُونَ كتابَ اللهِ، وتَقرَؤونَ صفاتِهِ ونعوتَهُ، وتَفهَمونَ معنى قولِهِ تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وقولِهِ مخاطِبًا نبيَّهُ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقولِهِ: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: ١٧]؟!

إنَّكم تقولونَ في صباحِكم ومسائِكم، وغُدُوِّكم ورَوَاحِكم:

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ

فهل تعلمون أنَّ السلَفَ الصالحَ كانوا يجصِّصون قبرًا، أو يتوسَّلون بضريحٍ؟! وهل تعلمون أنَّ واحدًا منهم وقَفَ عند قبرِ النبيِّ ﷺ أو قبرِ أحدٍ مِن أصحابِهِ وآلِ بيتِهِ يسألُهُ قضاءَ حاجةٍ أو تفريجَ همٍّ؟!

وهل تعلمون أنَّ الرِّفاعيَّ والدُّسُوقيَّ والجِيلانيَّ والبَدَويَّ أكرَمُ عند اللهِ وسيلةً إليه مِن الأنبياءِ والمرسَلين، والصحابةِ والتابِعين؟!

وهل تعلمون أنَّ النبيَّ ﷺ حينما نهى عن إقامةِ الصُّوَرِ والتماثيلِ نهى عنها عَبَثًا ولَعِبًا؟! أم مخافةَ أن تُعِيدَ للمسلِمينَ جاهليَّتَهم الأُولى؟!

وأيُّ فرقٍ بين الصُّوَرِ والتماثيلِ وبين الأَضرِحةِ والقبورِ، ما دام كلٌّ منها يَجُرُّ إلى الشركِ ويُفسِدُ عقيدةَ التوحيدِ؟!

واللهِ، ما جَهِلْتُم شيئًا مِن هذا؛ ولكنَّكم آثَرْتُم الحياةَ الدنيا على الآخِرةِ؛ فعاقَبَكم اللهُ على ذلك بسلبِ نِعْمتِكم، وانتقاضِ أَمْرِكم، وسلَّط عليكم أعداءَكم

يسلُبُون أوطانَكم، ويستعبِدون رقابَكم، ويخرِّبون ديارَكم، واللهُ شديدُ العقاب». اهـ.

ومع الأسفِ: وقَعَ كثيرٌ ممَّن ينتسِبُ إلى دينِ الإسلامِ فيما حذَّر منه الرسولُ ﷺ؛ فتراهم يَقصِدونَ هذه الآثارَ؛ كالذَّهابِ إلى غارِ حِراءٍ، مع أنَّ الرسولَ ﷺ إنَّما كان يتعبَّدُ فيه قبل البَعْثةِ، وأمَّا بعدَها، فلم يأتِ إليه ولا دعا أمَّتَهُ إلى الذَّهابِ إليه، ومع ذلك تَجِدُ كثيرًا مِن الجُهَّالِ يَذهَبونَ إليه.

ومِن ذلك: المكانُ الذي يُزعَمُ أنَّ الرسولَ ﷺ وُلِدَ فيه ـ مع أنَّ هذا لم يثبُتْ ـ فهل الرسولُ ﷺ أرشدَ أُمَّتَهُ إلى الإتيانِ إلى هذا المكانِ، أو فعَلَ ذلك أحدٌ مِن الصحابةِ ﷺ، أو السلفِ الصالِحِ؟! وإنَّما أحدَثَ هذا مَن ضَلَّ سواءَ السبيل، وخالَفَ الحقَّ المبين.

بل وصَلَ الأمرُ إلى الإتيانِ إلى مكانٍ يُزعَمُ أنَّ آمِنةَ بنتَ وَهْبٍ أُمَّ الرسولِ ﷺ دُفِنَتْ فيه، فيُفعَلُ في هذا المكانِ مِن الشركيَّاتِ والقبائحِ ما اللهُ به عليمٌ؛ مِن دعاءِ آمِنةَ بنتِ وَهْبٍ مِن دونِ اللهِ تعالى، والاستغاثةِ بها، وصَبِّ الطِّيبِ في هذا المكانِ المزعومِ أنَّه قبرُ آمِنةَ بنتِ وَهْبٍ، مع أنَّها ماتت على الشِّرْكِ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ عندما استأذَنَ ربَّه بأن يستغفِرَ لها، لم يأذَنْ له؛ كما أخرجه مسلمٌ في «صحيحِهِ» (٩٧٦)؛ مِن حديثِ أبي حازمٍ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ... فذكَرَهُ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣]؛ قال النوويُّ[(١)] على الحديثِ السابقِ: «وفيه: النهيُ عن الاستغفارِ للكُفَّار».

وقال أيضًا على الحديثِ الذي أخرجه مسلمٌ (٢٠٣)؛ مِن طريقِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ؛ أنَّ رجلًا قال: «يا رسولَ اللهِ؛ أينَ أبي؟»، قال: «**فِي النَّارِ**»، فلمَّا قفَّى[(٢)]، دعاه، فقال: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»؛ قال النوويُّ

(١) في «شرح مسلم» (٧/ ٤٥).
(٢) «فَلَمَّا قفَّى»؛ أي: ذهَبَ مولِّيًا، وكأنَّه مِن القَفَا؛ أي: أعطاه قفاهُ وظَهْرَه. ينظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٩٤).

مبيِّنًا هذا الحديثَ[١]: «فيه: أنَّ مَن مات على الكفرِ، فهو في النارِ، ولا تَنفَعُهُ قرابةُ المقرَّبين، وفيه: أنَّ مَن مات في الفَتْرةِ على ما كانت عليه العرَبُ مِن عبادةِ الأوثانِ، فهو مِن أهلِ النارِ، وليس هذا مؤاخَذةً قبل بلوغِ الدعوةِ؛ فإنَّ هؤلاءِ كانت قد بلَغَتْهم دعوةُ إبراهيمَ وغيرِه مِن الأنبياءِ؛ صلواتُ اللهِ تعالى وسلامُهُ عليهم». اهـ.

وقد حكى القَرَافيُّ[٢] الإجماعَ على تعذيبِ موتى الجاهليَّةِ في النارِ على كُفْرِهم؛ فقال: «فإنَّ قواعِدَ العقائدِ كان الناسُ في الجاهليَّةِ مكلَّفِينَ بها إجماعًا؛ ولذلك انعقَدَ الإجماعُ على أنَّ مَوْتاهم في النارِ يعذَّبون على كفرِهم، ولولا التكليفُ، لَمَا عُذِّبوا».

ومِن أجلِ انتشارِ هذا الأمرِ بين الناسِ وشيوعِ هذه القضيَّةِ بين مَن ينتسِبُ إلى الإسلامِ، جرى تحريرُ هذه الرسالةِ، وبالله التوفيق.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ والتابعين.

❁ ❁ ❁

---

(١) في «شرحِ مسلم» (٣/ ٧٩).

(٢) في «شرحِ التنقيحِ» (٣/ ٢٩ ط. جامعة أم القرى).